# مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

**www.menhag-un.com**

يُقَدِّمُ:

## (الْمُحَاضَرَة الْأُولَى)

## مِنْ مَادَّةِ

## أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَهَذِهِ -بِحَولِ اللهِ وقوتِهِ- فُصُولٌ مَجْمَوعَةٌ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، مِنْ حَيْثُ مَعْنَاهُ، وَمَا يُحَصَّلُ بِهِ، وَمَا يَحُثُّ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ ونَتَائِجِهِ.

لَقَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِإِنْزَالِ القُرْآنِ الحَكِيمِ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَجَعَلَهُ تَعَالَىٰ مُبَارَكًا، وَمَوعِظَةً، وَهِدَايَةً، وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَوَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالكَرِيمِ، وَأَقْسَمَ بِقَسَمٍ عَظِيمٍ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٧٧].

وَأَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ نَتَأَمَّلَ آلَاءَهُ وَآيَاتِهِ، وَأَنْ نَتَفَكَّرَ فِي مَعَانِيهِ؛ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الغَايَةِ الكُبْرَىٰ، وَهِيَ التَدَبُّرُ لِكَلَامِ اللهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ المَجِيدِ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]؛ فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ الغَايَةَ مِنْ إِنْزَالِهِ.

**قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:** «فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَىٰ نَجَاتِهِ، مِنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الفِكْرِ عَلَىٰ مَعَانِي آيَاتِهِ»(١).

وَالذَّينَ لَمْ يَتَدَبَّرُوا القُرْآنَ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ هَذَا الخَيْرَ العَظِيمَ.

---

(١) «**مدارج السالكين**»: ١/ ٤٥٠، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الكُفَّارِ وَوَبَّخَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النِّسَاءُ: ٨٢].

**قَالَ الْآلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ**(١): «وَأَصْلُ التَدَبُّرِ: التَّأَمُّلُ فِي أَدْبَارِ الأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ تَأَمُّلٍ، سَوَاءٌ كَانَ نَظَرًا فِي حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَأَجْزَائِهِ، أَوْ سَوَابِقِهِ وَأَسْبَابِهِ، أَوْ لَوَاحِقِهِ وَأَعْقَابِهِ»(٢).

وأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ أيضًا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

لَقَدْ جَاءَ هَذَا التَّقْرِيعُ لأَنَّهُم لَمْ يَتَدَبَّرُوا القُرْآنَ الحَكِيمَ، وَلَمْ يَحْظَوْا بِنَيْلِ شَرَفِ هَذِهِ الغَايَةِ الكُبْرَىٰ؛ فَإِنَّ نُفُوسَهُمْ مُضْطَرِبَةٌ، كَالرِّيشَةِ فِي مَهَابِّ الرِّيَاحِ، يَعْتَرِيهَا النَّكَدُ وَالوَسْوَسَةُ بِسَبَبِ التَشَبُّثِ بِمَفَاتِنِ الدُّنْيَا ومَلَذَّاتِهَا التي تَغَشَّتْ عَلَىٰ القُلُوبِ.

وَالقُرْآنُ المَجِيدُ أَعْيَا بِبَلاغَتِهِ البُلَغَاءَ، وَحَيَّرَ بِحُسْنِ أُسْلُوبِهِ أَفْئِدَةَ العُقَلَاءِ، لَا يَمَلُّهُ قَارِئُهُ وَسَامِعُهُ، بَلْ كُلَّمَا أَكَبَّ عَلَىٰ تِلاوَتِهِ ازْدَادَ جِدَّةً وَحَلَاوَةً، وَغَيْرُهُ مِنْ

---

(١) هو المفسر الأديب مفتىٰ الْحَنَفِيَّة ببغداد: شهَاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني، أَبُو الثَّنَاء الآلوسي الْبَغْدَادِيّ الشَّافِعِي الحنفي، توفي سنة سبعين ومائتين وألف، وعمره نحو ثلاث وخمسين سنة.

انظر: «**جلاء العينين**» لابنه أبي البركات خير الدين نعمان: ص٥٧-٥٩، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

(٢) «**روح المعاني**»: ٦/ ١٦٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

الكَلَامِ يُعَادَىٰ إِذَا أُعِيدَ، ويُمَلُّ مَعَ التَرْدِيدِ، ولِهَذَا وُصِفَ القُرْآنُ المجيدُ بِأَنَّهُ لَا يَخْلَقُ مَعَ كَثْرَةِ التَرْدِيدِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١- ٤٢].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت: ٤٠- ٤٣].

هُوَ الذَّي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّىٰ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١- ٢].

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

**ورَوَىٰ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ**(١)، **بِإِسنادِهِ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:** «دَخَلَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرِ بنِ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ عَنِ القُرْآنَ، فَلَمَّا

---

(١) «**جامع البيان**»: ٢٩/ ١٥٦-١٥٧، وأخرجه أيضا: الحاكم في «**المستدرك**»: ٢/ ٥٠٦-٥٠٧، رقم (٣٨٧٢)، وأبو نعيم في «**دلائل النبوة**»: ١/ ٢٣٣، رقم (١٨٤)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: ٢/ ١٩٨-٢٠٠، وفي «**شعب الإيمان**»: ١/ ٢٨٧-٢٩٠، رقم (١٣٣ و١٣٤)، والواحدي في «**أسباب النزول**»: ص٤٦٨، رقم (٨٤٢)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «دَخَلَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ،...» فذكره، وفي رواية: «أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ،...».

=

أَخْبَرَهُ خَرَجَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِمَا يقُولُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ -وكَانَ المشركُونَ يَنْسُبُونَ النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي كَبْشَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ خَالَفَ قُرَيشًا فِي عِبَادةِ الأَوْثَانِ وعَبَدَ الشِّعْرَ العَبُورَ، فَلَمَّا خَالَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عِبَادَةِ الأوثَانِ شَبَّهُوهُ بِهِ، وقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ جَدَّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ فَأَرَادُوا أَنَّهُ نَزَعَ فِي الشَّبَهِ إليهِ-، فَخَرَجَ الوليدُ بْنُ المُغِيرَةِ مِنْ لَدُنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِمَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فَوَاللهِ مَا هُو بِشِعْرٍ، وَلَا بِسِحْرٍ، وَلَا بِهَذْيٍ مِنَ الجُنُونِ، وإِنَّ قَولَهُ لَمِنْ كَلَامِ اللهِ!

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ ائْتَمَرُوا وقَالُوا: وَاللهِ لَئِنْ صَبَأَ الوليدُ لَتَصْبَأَنَّ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ قَالَ: أَنَا وَاللهِ أَكْفِيكُمْ شَأْنَهُ.

فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ دَخَلَ عليهِ بيتَهُ، فَقَالَ لِلْوَلِيدِ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ الصَّدَقَةَ؟

قَالَ: أَلَسْتُ أَكْثَرَهُم مَالاً وَوَلَدًا!

فَقَالَ لهُ أَبُو جَهْلٍ: يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَىٰ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ؛ لِتُصِيبَ مِنْ طَعَامِهِ.

---

=

والحديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وروي عن عكرمة مرسلا بنحوه.

قَالَ الْوَلِيدُ: قَدْ تَحَدَّثَ بِهَذَا عَشِيرَتِي؟! لَا أَقْرَبُ أَبَا بَكْرٍ ولَا عُمَرَ وَلَا ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ، ومَا قَوْلُهُ إلَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ علىٰ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، إلىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ١١-٢٨]».

**قَالَ قَتَادَةُ**(١): «زَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ نَظَرْتُ فِيمَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وإنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وإنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وإنَّهُ لَيَعْلُو ومَا يُعْلَىٰ، وَمَا أَشُكُّ أَنَّهُ سِحْرٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩]»(٢).

لِهَذَا تَحَدَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الجِنَّ وَالإِنْسَ مُجْتَمِعِينَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الكِتَابِ المُبِينِ، فَقَالَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ المُبِينِ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [المدثر: ٨٨].

وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يَقْوَىٰ الثَّقَلَانِ عَلَىٰ مُعَارَضَةِ هَذَا القُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُ الكَرِيمِ المَنَّانِ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

---

(١) هو الحافظ: قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقة ثبت، مات سنة بضع عشرة ومائة.

انظر: «**تهذيب الكمال**»: ٢٣/ ٤٩٨، ترجمة (٤٨٤٨)، و«**تهذيب التهذيب**»: ٨/ ٣٥١، ترجمة (٦٣٧)، و«**تقريب التهذيب**»: ص٢٤٣، ترجمة (٥٥١٨).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**»: ٢٩/ ١٥٧، بإسناد صحيح، وعزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ٦/ ٢٨٢ لعبد بن حميد، وروي عن مجاهد والضحاك وابن زيد نحوه.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣- ١٤].

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٨- ٣٩].

﴿... وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧].

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

## الْغَايَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ

وَكُلُّ مَنْ سَمِعَ بِالقُرْآنِ، أَوْ بَلَغَهُ القُرْآنُ؛ فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ حُجَّةُ الرَّحْمَنِ: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وَقَالَ ﷺ -كَمَا فِي الحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١)، مِنْ رِوَايةِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه-: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

وَلَوْ أَنْصَفَ الكُفَّارُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَأَسْلَمُوا، ولِلْحَقِّ سَلَّمُوا، وَلَكِنَّهَا الغِشَاوَةُ التِي غَطَّتْ أَبْصَارَهُمْ، وَلَكِنَّهَا الأَكِنَّةُ التِي عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٣- ٥].

وَلَقَدْ أَدْرَكَ الكُفَّارُ تَأْثِيرَ كَلَامِ العَزِيزِ الغَفَّارِ عَلَىٰ نُفُوسِ الفُجَّارِ، فَضْلًا عَنِ الأَبْرَارِ؛ فَتَوَاصَوْا بِعَدَمِ سَمَاعِهِ، وَتَوَاصَوْا بِصَرْفِ النَّاسِ عَنْ لَذِيذِ خِطَابِهِ؛ لِئَلَّا

(١) «**صحيح مسلم**»: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم (١٥٣).

يَنْفُذَ إِلَىٰ القُلُوبِ، أَوْ يُؤَثِّرَ فِي النُّفُوسِ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٩].

وَلَقَدْ حَدَّثَنَا القُرْآنُ المَجِيدُ عَنْ تَأْثِيرِهِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّصَارَىٰ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

لَقَدْ تَجَاوَزَ تَأْثِيرُ القُرْآنِ المَجِيدِ إِلَىٰ غَيْرِ المُسْلِمِينَ حِينَمَا أَصْغَوْا إِلَيْهِ مُسْتَمِعِينَ؛ لِهَذَا قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رضي الله عنه -وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا-: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧]، كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

**وَفِي رِوَايَةٍ**(٢)، **قَالَ**: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي».

---

(١) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، سُورَةُ وَالطُّورِ، رقم (٤٨٥٤).

والحديث متفق عليه، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، بلفظ: «**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِالطُّورِ فِي الْمَغْرِبِ**».

(٢) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ المَغَازِي، باب (١٢)، رقم (٤٠٢٣).

**قَالَ الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ**(١): «إِنَّمَا كَانَ انْزِعَاجُهُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذِهِ الآيَةَ لِحُسْنِ تَلَقِّيهِ مَعْنَىٰ الآيَةِ، وَمَعْرِفَتِهِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلِيغِ الحُجَّةِ، فَاسْتَدْرَكَهَا بِلَطِيفِ طَبْعِهِ، وَاسْتَشَفَّ مَعْنَاهَا بِذَكِيِّ فَهْمِهِ»(٢).

**وَتَأَمَّلْ هَذَا المَشْهَدَ الجَمَاعِيَّ لِتَأْثِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي النُّفُوسِ، وَالتَّأَثُّرِ بِهِ وَلَوْ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ، وَالمُشْرِكُونَ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٣).

**قَالَ الْآلُوسِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»**(٤): «يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا سَجَدُوا لِدَهْشَةٍ أَصَابَتْهُمْ، وَخَوْفٍ اعْتَرَاهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ السُّورَةِ، بِمَا فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٠- ٥٤] إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ، فَاسْتَشْعَرُوا نُزُولَ مِثْلِ ذَلِكَ بِهِمْ».

---

(١) هُو: حَمْدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو سُلَيْمَانَ البُسْتِيُّ الخَطَّابِيُّ الشافعي، كَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْه والْحَدِيث واللغة، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ.

انظر: «**وفيات الأعيان**»: ٢/ ٢١٤، ترجمة (٢٠٧)، و«**سير أعلام النبلاء**»: ١٧/ ٢٣، ترجمة (١٢).

(٢) «**أعلام السنن في شرح صحيح البخاري**»: ٣/ ١٩١٢، رقم (٩٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب سجود القرآن، بَابُ سُجُودِ المُسْلِمِينَ مَعَ المُشْرِكِينَ، رقم (١٠٧١)، وفي: كتاب التفسير، سُورَةُ وَالنَّجْمِ، بَابُ ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [النجم: ٦٢]، رقم (٤٨٦٢).

(٤) «**روح المعاني**»: ٩/ ١٧٤.

**وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ**: «قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ النَّجْمَ بِمَكَّةَ، فَسَجَدَ فِيهَا، وَسَجَدَ مَنْ مَعَهُ، غَيْرُ شَيْخٍ كَبِيرٍ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصًى -أَوْ مِنْ تُرَابٍ-، فَرَفَعَهُ إِلَىٰ جَبْهَتِهِ وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا»، أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

وَهَذَا السُّجُودُ الذِي وَقَعَ مِنَ المُشْرِكِينَ، إِنَّمَا وَقَعَ بِسَبَبِ سُلْطَانِ القُرْآنِ العَظِيمِ، وَدَهْشَتِهِمْ لِرَوْعَةِ بَيَانِهِ وَعَذْبِ خِطَابِهِ.

**قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ** رَحِمَهُ اللهُ(٢): «وَكَانَ سَبَبُ سُجُودِهِمْ -فِيمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ- أَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ»(٣).

وَقَدْ حَدَثَ مِثْلُ هَذَا لِغَيْرِهِمْ، كَمَا حَدَثَ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ حِينَ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ سُورَةَ فُصِّلَتْ(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب سجود القرآن، بَابُ مَا جَاءَ فِي سُجُودِ القُرْآنِ، رقم (١٠٦٧)، وفي مواضع، ومسلم في «**الصحيح**»: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ، بَابُ سُجُودِ التِّلَاوَةِ، رقم (٥٧٦).

(٢) هو القَاضِي: عِيَاضُ بنُ مُوْسَىٰ بنِ عِيَاضٍ، أَبُو الفَضْلِ اليَحْصَبيُّ الأَنْدَلُسِيُّ ثُمَّ السَّبْتِيُّ المَالِكِيُّ، إِمَام الحَدِيْث فِي وَقْتِهِ وَأَعْرفُ النَّاس بِعُلُوْمِهِ، وَبِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَكَلَامِ العَرَبِ وَأَيَّامِهِم وَأَنسَابِهِم، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.
انظر: «**سير أعلام النبلاء**»: ٢٠/ ٢١٢، ترجمة (١٣٦).

(٣) «**إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**»: ٢/ ٥٢٥، (المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

(٤) أخرج ابن إسحاق في «**السيرة**»: ص٢٠٦، ومن طريقه: ابن هشام في «**السيرة**»: =

فَفِي «الْمُسْتَدْرَكِ»(١): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ -يَعْنِي وَالِدَ النَّبِيِّ ﷺ-».

---

=

١/ ٢٩٣، والبيهقي في «**الدلائل**»: ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٣٨/ ٢٤٥-٢٤٦، ترجمة (٤٥٤٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: حُدِّثْتُ: أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ -وَكَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا-، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَىٰ هَذَا فَأُكَلِّمَهُ فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضَهَا وَيَكُفَّ عَنَّا؟... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فِيمَا قَالَ لَهُ عُتْبَةُ، وَفِيمَا عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: «**فَاسْمَعْ مِنِّي**» قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**» فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَىٰ بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ السَّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: سَمِعْتُ، قَالَ: «**فَأَنْتَ وَذَاكَ**»...

والحديث إسناده ضعيف، وثبت نحوه عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا بدون ذكر السجود، وهو الحديث الآتي بعده -إن شاء الله-.

(١) «**المستدرك**»: ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، رقم (٣٠٠٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وأخرجه أيضا: ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ٤/ ٣٣٠-٣٣١، رقم (٣٦٥٦٠)، وعبد بن حميد كما في المنتخب من «**مسنده**»: رقم (١١٢٣)، وأبو

=

**وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ»، وَعِنْدَ أَبِي يَعْلَىٰ فِي «مُسْنَدِهِ»:** «قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ المُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

**وَعِنْدَ البَيْهَقِيِّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»:** «قَالَ لَهُ عُتْبَةُ: أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ هَاشِمٌ؟

أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ المُطَّلِبِ؟

أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟

فَلَمْ يُجِبْهُ.

قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَغْتَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ...﴾** [فُصِّلَتْ: ١- ٢]، حَتَّىٰ بَلَغَ: **﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾** [فصلت: ١٣]».

---

= يعلىٰ في «مسنده»: ٣/ ٣٤٩-٣٥١، رقم (١٨١٨)، وأبو نعيم في «**الدلائل**»: ١/ ٢٣٠-٢٣١، رقم (١٨٢)، والبيهقي في «**الدلائل**»: ٢/ ٢٠٢-٢٠٤، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٣٨/ ٢٤٢-٢٤٣، ترجمة (٤٥٤٦)، بإسناد حسن.

فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ، حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟

قَالَ: «**لَا**».

فَرَجَعَ عُتْبَةُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟

فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَىٰ أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ إِلَّا قَدْ كَلَّمْتُهُ.

قَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَالذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً -يُرِيدُ الكَعْبَةَ، وَكَانَتْ تُدْعَىٰ بَنِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؛ لِأَنَّهُ بَنَاهَا، وَقَدْ كَثُرَ قَسَمُهُمْ بِرَبِّ هَذِهِ البَنِيَّةِ-.

قَالَ: نَعَمْ، وَالذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ.

قَالُوا: وَيْلَكَ، يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالعَرَبِيَّةِ وَلَا تَدْرِي مَا قَالَ؟!

قَالَ: لَا وَاللهِ، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ».

وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها فِي قِصَّةِ هِجْرَتِهِمْ إِلَىٰ الحَبَشَةِ، وَاجْتِمَاعِهِمْ بِالنَّجَاشِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ -يَعْنِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم- عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ -يَعْنِي سُورَةَ مَرْيَمَ-، قَالَتْ: فَبَكَىٰ -واللهِ- النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ

أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ -أَيْ حَتَّىٰ بَلُّوهَا بِالدُّمُوعِ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ- ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا -وَاللهِ- وَالذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ». أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»(١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

**وَالمِشْكَاةُ**: الكُوَّةُ غَيْرُ النَّافِذَة.

**وَقِيلَ**: هِيَ الحَدِيدَةُ التِي يُعَلَّقُ عَلَيْهَا القِنْدِيلُ.

أَرَادَ أَنَّ القُرْآنَ وَالإِنْجِيلَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُمَا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ.

وَلِهَذَا فَزِعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ حِينَ رَأَوْا تَأْثِيرَ القُرْآنِ فِي النُّفُوسِ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»(٢): عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغَمَادِ -وَبَرْكُ الغَمَادِ تُفْتَحُ البَاءُ فِيهِ وَتُكْسَرُ، وَتُضَمُّ الغَيْنُ وَتُكْسَرُ، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ بِاليَمَنِ؛ وَقِيلَ: هُوَ مَوْضِعٌ وَرَاءَ مَكَّةَ بِخَمْسِ لَيَالٍ-، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغَمَادِ، لَقِيَهُ ابْنُ

---

(١) «**مسند الإمام أحمد**»: ١/ ٢٠١-٢٠٢، رقم (١٧٤٠) و٥/ ٢٩٠-٢٩١، رقم (٢٢٤٩٨)، وأخرجه أيضا: ابن إسحاق في «**السيرة**»: ص٢١٣-٢١٦، ومن طريقه: ابن هشام في «**السيرة**»: ١/ ٣٣٤-٣٣٨، وإسحاق بن راهويه في «**مسنده**»: ٤/ ٧١-٧٤، رقم (١٨٣٥)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: ١/ ١١٥، ترجمة (١٧)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: ٩/ ١٤٤، رقم (١٨٤٢٦)، وفي «**الدلائل**»: ٢/ ٣٠١-٣٠٦، بإسناد صحيح.

(٢) «**صحيح البخاري**»: كتاب الكفالة، بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقْدِهِ، رقم (٢٢٩٧).

الدَّغِنَةِ -وابن الدُغُنّة، بِضَمِّ المُهْمَلَةِ وَالمُعْجَمَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ: (الدُغُنَّة)، وَعِنْدَ الرُّوَاةِ، بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَانِيهِ وَتَخْفِيفِ النُّونِ: (الدَّغِنَة)، وَهِيَ أُمُّهُ، وَقِيلَ: أُمُّ أَبِيهِ، وَقِيلَ: دَابَّتُه.

**وَمَعْنَىٰ الدَّغِنَةِ**: المُسْتَرْخِيَةُ، وَأَصْلُهَا: الغَمَامَةُ الكَثِيرَةُ المَطَرِ.

وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهُ الحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ، وَقِيلَ: اسْمُهُ مَالِكٌ-.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغَمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، -وَالقَارَةُ بِالقَافِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ: قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي الهُولِ بْنِ خُزَيْمَةَ، سُمُّوْا قَارَةً: لِاجْتِمَاعِهِمْ وَالْتِفَافِهِمْ، وَيُوصَفُونَ بِالرَّمْيِ-.

فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي؛ فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي، فَقَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ؛ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ؛ وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ.

فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ؟!

فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ؛ فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا.

قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلَاةِ، وَلَا القِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَىٰ مَسْجِدًا فِي فِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ - أَيْ: يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ يَسْقُطَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَكَادُ يَنْكَسِرُ-، فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَىٰ مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَىٰ إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ؛ فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ...» الحَدِيثَ. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ».

هَذَا هُوَ القُرْآنُ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ العَبْدُ بِقَلْبِهِ، وَأَصْغَىٰ إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

www.menhag-un.com

## دَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ بِالْقُرْآنِ

وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ، فَقَدْ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١- ٩٢].

وَأَمَرَهُ -سُبْحَانَهُ- أَنْ يَقُولَ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ...﴾ [الأنعام: ١٩].

**قَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ** رَحِمَهُ اللهُ(١): «وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو الخَلْقَ بِالقُرْآنِ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ، الذِي هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَبِذَلِكَ اسْتَجَابَ خَوَاصُّ المُؤْمِنِينَ، كَأَكَابِرِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلِهَذَا المَعْنَىٰ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ: «فُتِحَتِ المَدِينَةُ بِالقُرْآنِ»، يَعْنِي: أَنَّ أَهْلَهَا إِنَّمَا دَخَلُوا الإِسْلَامَ بِسَمَاعِ القُرْآنِ، كَمَا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَىٰ المَدِينَةِ، فَدَعَا أَهْلَ المَدِينَةِ إِلَىٰ الإِسْلَامِ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ عَلَيْهِمْ؛ فَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ».

---

(١) «**شرح حديث مثل الإسلام**» طبع ضمن مجموع رسائل ابن رجب: ١/ ٢٠٦، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وَلِهَذَا انْطَلَقَ إِخْوَانُنَا مِنْ صَالِحِ الجِنِّ دُعَاةً إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، حِينَمَا خَالَطَ القُرْآنُ بِبَشَاشَتِهِ قُلُوبَهُمُ الطَّيِّبَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ».

الإِكَافُ يَلِي الحِمَارَ، وَالقَطِيفَةُ فَوْقَ الإِكَافِ، وَالرَّاكِبُ فَوْقَ القَطِيفَةِ.

**فَالإِكَافُ** -بِكَسْرِ الهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ الكَافِ-: مَا يُوضَعُ عَلَىٰ الدَّابَّةِ كَالبَرْدَعَةِ، وَالقَطِيفَةُ كِسَاءٌ.

وَقَوْلُهُ: فَدَكِيَّةٌ -بِفَتْحِ الفَاءِ وَالدَّالِ وَكَسْرِ الكَافِ-، نِسْبَةً إِلَىٰ فَدَكَ، القَرْيَةِ المَشْهُورَةِ، كَأَنَّهَا صُنِعَتْ فِيهِ.

---

(١) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ التَّسْلِيمِ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ، رقم (٦٢٥٤)، وفي مواضع، و«**صحيح مسلم**»: كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ اللهِ، رقم (١٧٩٨).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ، وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، وَذَلِكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، حَتَّىٰ مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وَاليَهُودِ، فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ -وَعَجَاجَةُ الدَّابَّةِ مَا ارْتَفَعَ مِنْ غُبَارِ حَوَافِرِهَا- خَمَّر -أَيْ غَطَّىٰ- عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَيُّهَا المَرْءُ، لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَىٰ رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ: اغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ.

قَالَ: فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا -أَيْ قَارَبُوا أَنْ يَثِبَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَقْتَتِلُوا- فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ: أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَىٰ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ -يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ-، قَالَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ وَاصْفَحْ، فَوَاللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرة -وَالبُحَيْرَةُ: مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ تَصْغِيرُ البَحْرَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ مُكَبَّرَةً، وَالعَرَبُ تُسَمِّي المُدُنَ وَالقُرَىٰ: البِحَارَ-،

فَوَاللهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الذِي أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةَ أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ -أَيِ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلُوهُ مَلِكَهُمْ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ إِذَا مَلَّكُوا إِنْسَانًا أَنْ يُتَوِّجُوهُ وَيُعَصِّبُوهُ- فَلَمَّا رَدَّ اللهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الذِي أَعْطَاكَهُ، شَرِقَ -أَيْ غَصَّ- بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ؛ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لَهُ.

**وَقَدْ أَشَارَ العَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ إِلَىٰ الطُّرُقِ التِي فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، لِدَعْوَةِ الكُفَّارِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ فَقَالَ**(١): «يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ، وَالإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ بِمَا يَصِفُهُ مِنْ مَحَاسِنِ شَرْعِهِ وَدِينِهِ، وَمَا يَذْكُرُهُ مِنْ بَرَاهِينِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيَهْتَدِيَ مَنْ قَصْدُهُ الحَقُّ وَالإِنْصَافُ، وَلِتَقُومَ الحُجَّةُ عَلَىٰ المُعَانِدِ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ طَرِيقٍ يُدْعَىٰ بِهَا جَمِيعُ المُخَالِفِينَ لِدِينِ الإِسْلَامِ.

فَإِنَّ مَحَاسِنَ دِينِ الإِسْلَامِ وَمَحَاسِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَآيَاتِهِ وَبَرَاهِينَهُ، فِيهَا كِفَايَةٌ تَامَّةٌ لِلدَّعْوَةِ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِبْطَالِ شُبَهِهِمْ وَمَا يَحْتَجُّونَ بِهِ؛ فَإِنَّ الحَقَّ إِذَا اتَّضَحَ، عُلِمَ أَنَّ كُلَّ مَاخَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ ضَلَالٌ.

وَيَدْعُوهُمْ أَيْضًا بِنَحْوِ مَا يَدْعُو بِهِ المُؤْمِنِينَ، بِذِكْرِ آلَائِهِ وَنِعَمِهِ، وَأَنَّ المُنْفَرِدَ بِالخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، هُوَ الذِي يَجِبُ عَلَىٰ العِبَادِ طَاعَتُهُ، وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ.

---

(١) «**القواعد الحسان لتفسير القرآن**» طبع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ السعدي: ٣/ ٣٥٣-٣٥٤، (الرياض: دار الميمان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

وَيَدْعُوهُمْ أَيْضًا بِشَرْحِ مَا فِي أَدْيَانِهِمُ البَاطِلَةِ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ القُبْحِ، وَالمُقَارَنَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِينِ الإِسْلَامِ؛ لِيَتَبَيَّنَ وَيَتَّضِحَ مَا يَجِبُ إِيثَارُهُ، وَمَا يَتَعَيَّنُ اخْتِيَارُهُ.

وَيَدْعُوهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا وَصَلَتْ بِهِمُ الحَالُ إِلَىٰ العِنَادِ وَالمُكَابَرَةِ الظَّاهِرَةِ، تَوَعَّدَهُمْ بِالعُقُوبَاتِ الصَّوَارِمِ، وَبَيَّنَ لِلنَّاسِ طَرِيقَتَهُم التِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُخَالِفُوا الدِّينَ جَهْلًا وَضَلَالًا، أَوْ لِقِيَامِ شُبْهَةٍ أَوْجَبَتْ لَهُمُ التَّوَقُّفَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ جُحُودٌ وَمُكَابَرَةٌ وَعِنَادٌ.

وَيُبَيِّنُ مَعَ ذَلِكَ الأَسْبَابَ التِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ مُتَابَعَةِ الهُدَىٰ، وَأَنَّهَا رِيَاسَاتٌ وَأَغْرَاضٌ نَفْسِيَّةٌ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا آثَرُوا البَاطِلَ عَلَىٰ الحَقِّ؛ طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَخُتِمَ عَلَيْهَا، وَسُدَّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ الهُدَىٰ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ إِعْرَاضِهِمْ وَتَوَلِّيهِمْ لِلشَّيْطَانِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ وَلَايَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّهُ وَلَّاهُمْ مَا تَوَلَّوْا لِأَنْفُسِهِمْ، وَهَذِهِ المَعَانِي الجَزِيلَةُ المَبْسُوطَةُ تَجِدُهَا فِي القُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، فَتَأَمَّلْ وَتَدَبَّرِ القُرْآنَ، تَجِدْهَا وَاضِحَةً جَلِيَّةً».

وَكَيْفَ لَا يُدْعَىٰ الخَلْقُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالقُرْآنِ، وَهُوَ الكِتَابُ الذِي قَالَ فِيهِ مُنَزِّلُهُ وَقَائِلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فَإِنَّ الجَبَلَ -عَلَىٰ غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ- لَوْ فَهِمَ هَذَا القُرْآنَ المَجِيدَ، فَتَدَبَّر مَا فِيهِ؛ لَخَشَعَ.

**فِي «مَحَاسِنِ التَّأْوِيلِ»**(١): «وَالغَرَضُ تَوْبِيخُ الإِنْسَانِ عَلَىٰ قَسْوَةِ قَلْبِهِ، وَقِلَّةِ تَخَشُّعِهِ، عِنْدَ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَتَدَبُّرِ قَوَارِعِهِ وَزَوَاجِرِهِ.

ثُمَّ أَشَارَ تَعَالَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ كَيْفَ يُتْرَكُ الخُشُوعُ لِذَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ، مَعَ أَنَّهُ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤]».

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾ [الرعد: ٣١].

**قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعْنَىٰ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ**(٢): «لَوْ كَانَ فِي الكُتُبِ المَاضِيَةِ كِتَابٌ تُسَيَّرُ بِهِ الجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، أَوْ تُقَطَّعُ بِهِ الأَرْضُ وَتَنْشَقُّ، أَوْ تُكَلَّمُ بِهِ المَوْتَىٰ فِي قُبُورِهَا؛ لَكَانَ هَذَا القُرْآنُ هُوَ المُتَّصِفَ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ».

وَكَمَا خَشَعَ البَشَرُ وَالحَجَرُ لِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَدْ خَشَعَ الشَّجَرُ.

---

(١) «**محاسن التأويل**» لجمال الدين القاسمي: ٩/ ١٩٦، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ).

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: ٤/ ٤٦٠، (الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

www.menhaj-un.com

فَفِي «**صَحِيحِ البُخَارِيِّ**»(١): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، -وَالعِشَارُ: النُّوقُ الحَوَامِلُ، وَاحِدَتُها عُشَرَاءُ، وَهِيَ التِي أَتَىٰ عَلَيْهَا فِي الحَمْلِ عَشْرَةُ أَشْهُرٍ؛ فَتُسَمَّىٰ بِذَلِكَ حَتَّىٰ تَضَعَ وَبَعْدَ أَنْ تَضَعَ-.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

**وَفِي رِوَايَةٍ**(٢): «فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الذِي يُسَكَّنُ».

قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا».

**قَالَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ -وَهُوَ عَرَبِيٌّ جَاهِلِيٌّ صِنْدِيدٌ عَنِيدٌ- وَهُوَ يَصِفُ القُرْآنَ المَجِيدَ**: «وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آنِفًا كَلَامًا، مَا هُو مِنْ كَلَامِ الإِنْسِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ».

---

(١) «**صحيح البخاري**»: كتاب المناقب، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم (٣٥٨٥).

(٢) «**صحيح البخاري**»: الموضع السابق، رقم (٣٥٨٤).

وَقَالَ فَرَنْسِيٌّ فَيْلَسُوفٌ مُلْحِدٌ، هُوَ جُوزِيفْ إِرْنِسْتْ رِينَانْ: «تَضُمُّ مَكْتَبَتِي آلَافَ الكُتُبِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالأَدَبِيَّةِ، وَغَيْرِهَا، التِي لَمْ أَقْرَأْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَا أَكْثَرَ الكُتُبَ التِي لِلزِّينَةِ فَقَطْ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ كِتَابٌ وَاحِدٌ تُؤْنِسُنِي قِرَاءَتُهُ دَائِمًا، هُوَ كِتَابُ المُسْلِمِينَ: القُرْآنُ، فَكُلَّمَا أَحْسَسْتُ بِالإِجْهَادِ، وَأَرَدْتُ أَنْ تَنْفَتِحَ لِي أَبْوَابُ المَعَانِي وَالكَمَالَاتِ؛ طَالَعْتُ القُرْآنَ؛ حَيْثُ إِنَّنِي لَا أُحِسُّ بِالتَّعَبِ أَوِ المَلَلِ بِمُطَالَعَتِهِ بِكَثْرَةٍ.

لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْتَقِدَ بِكِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الكِتَابَ هُوَ القُرْآنُ لَا غَيْرَ؛ إِذْ إِنَّ الكُتُبَ الأُخْرَىٰ لَيْسَتْ لَهَا خَصَائِصُ القُرْآنِ».

أَلَيْسَتْ مَقُولَةُ (رِينَانْ) هِيَ بِنَفْسِهَا مَقُولَةَ الوَلِيدِ بْنِ المُغِيرَةِ؟

فَمَا الذِي جَعَلَ الوَلِيدَ وَ(رِينَانْ) يَتَّفِقَانِ عَلَىٰ أَنَّ القُرْآنَ يَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ؟ إِنَّهُ قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ العِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ القُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»(١).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: ٦/ ٢٤٧، رقم (٨١٤)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: ص٩٦، وسعيد بن منصور في التفسير من «**السنن**»: رقم (١)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ١٠/ ٤٨٥، رقم (٣٠٠١٨)، وأحمد في «**الزهد**»: ص١٢٩، رقم (٨٥٦)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: ٩/ ١٤٦، رقم (٨٦٦٦)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: ٣/ ٣٤٧، رقم (١٨٠٨)، بإسناد صحيح.

«قَالَ شِمْرٌ: تَثْوِيرُ القُرْآنِ: قِرَاءَتُهُ، وَمُفَاتَشَةُ العُلَمَاءِ بِهِ فِي تَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ»(١).

**وَإِنَّ كِتَـــابَ اللهِ أَوْثَـــقُ شَـــافِعٍ ... وَأَغْنَـــىٰ غَنَـــاءً وَاهِبًـــا مُتَفَضِّـــلَا**

**وَخَيْـــرُ جَلِـــيسٍ لَا يُمَـــلُّ حَدِيثُـــهُ ... وَتَـــرْدَادُهُ يَـــزْدَادُ فِيـــهِ تَجَمُّـــلَا**

**وَحَيْـثُ الفَتَـىٰ يَرْتَـاعُ فِـي ظُلُمَاتِـهِ ... مِـنَ القَبْـرِ، يَلْقَـاهُ سَـنًا مُـتَهَلِّلَا**(٢)

❁ ❁ ❁

(١) «**تهذيب اللغة**»: ١٥/ ٨٠، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م).

(٢) «**حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**» للشاطبي: المقدمة، البيت: ١٠-١٢.

## مَعْنَى النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللهِ، وَصُوَرُهَا

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) بِسَنَدِهِ، عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**».

قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**».

**قَالَ المَازِرِيُّ**(٢): «النَّصِيحَةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ نَصَحْتُ العَسَلَ إِذَا صَفَّيْتُهُ، وَيُقَالُ: نَصُحَ الشَّيْءُ إِذَا خَلُصَ، وَنَصَحَ لَهُ القَوْلَ إِذَا أَخْلَصَهُ لَهُ.

أَوْ: هِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ النُّصْحِ، وَهُوَ الخِيَاطَةُ بِالمِنْصَحَةِ -وَهِيَ الإِبْرَةُ-، وَالمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَلُمُّ شَعَثَ أَخِيهِ بِالنُّصْحِ كَمَا تَلُمُّ المِنْصَحَةُ»، وَمِنْهُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، كَأَنَّ الذَّنْبَ يُمَزِّقُ الدِّينَ، وَالتَّوْبَةَ تَخِيطُهُ.

**قَالَ الخَطَّابِيُّ**(٣): «النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، مَعْنَاهَا: حِيَازَةُ الحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَيُقَالُ: هُوَ مِنْ وَجِيزِ الأَسْمَاءِ وَمُخْتَصَرِ الكَلَامِ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ العَرَبِ كَلِمَةٌ

---

(١) «**صحيح مسلم**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم (٥٥).

(٢) «**المعلم بفوائد مسلم**»: ١/ ٢٩٣-٢٩٤، و«**إكمال المعلم**»: ١/ ٣٠٦، و«**فتح الباري**»: ١/ ١٣٨، (المكتبة السلفية، ١٣٧٩هـ).

(٣) «**أعلام السنن**»: ١/ ١٨٩-١٩٠، و«**فتح الباري**»: ١/ ١٣٨.

مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَىٰ بِهَا العِبَارَةُ عَنْ مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ، كَمَا قَالُوا فِي (الفَلَاحِ): لَيْسَ فِي كَلَامِ العَرَبِ أَجْمَعُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْهُ».

**وَأَمَّا مَعْنَىٰ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللهِ:** فَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ: شِدَّةُ حُبِّه، وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ؛ -إِذْ هُوَ كَلَامُ الخَالِقِ-، وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، ثُمَّ شِدَّةُ العِنَايَةِ فِي تَدَبُّرِهِ، وَالوُقُوفُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِطَلَبِ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يَفْهَمَهُ عَنْهُ، وَيَقُومَ لَهُ بِهِ بَعْدَ أَنْ يَفْهَمَهُ؛ وَكَذَلِكَ النَّاصِحُ مِنَ العِبَادِ، يَتَفَهَّمُ وَصِيَّةَ مَنْ يَنْصَحُهُ، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْهُ عُنِيَ بِفَهْمِهِ؛ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِكِتَابِ اللهِ، يُعْنَىٰ بِفَهْمِهِ؛ لِيَقُومَ للهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ، ثُمَّ يَنْشُرُ مَا فَهِمَهُ فِي العِبَادِ، وَيُدِيمُ دِرَاسَتَهُ: بِالمَحَبَّةِ لَهُ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ».

**قَالَ النَّوَوِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَنْزِيلُه، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الخَلْقِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ، ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَتَحْسِينُهَا، وَالخُشُوعُ عِنْدَهَا، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ المُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ، وَالتَّصْدِيقُ بِمَا فِيهِ، وَالوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ، وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَالِاعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ، وَالعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ، وَالبَحْثُ

---

(١) «**تعظيم قدر الصلاة**»: ٢/ ٦٩٣، (المدينة: مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ).

(٢) «**المنهاج شرح صحيح مسلم**»: ٣/ ٣٨، (المطبعة البهية المصرية).

عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَنَشْرُ عُلُومِهِ، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ، وَإِلَىٰ مَا ذَكَرَهُ مِنَ النَّصِيحَةِ».

**وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ: تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ، وَتَحْرِيرُهَا فِي الكِتَابَةِ، وَتَفَهُّمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُ حُدُودِهِ، وَالعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَذَبُّ تَحْرِيفِ المُبْطِلِينَ عَنْهُ».

هَذَا مُجْمَلُ مَعْنَىٰ النَّصِيحَةِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ وَأَفْعَالِهِم.

(١) «فتح الباري»: ١/ ١٣٨.

## تَدَبُّر الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ

مِنَ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا تَدَبُّرُهُ، وَالنَّظَرُ فِي مَعَانِيهِ.

وَقَدْ جَاءَ الأَمْرُ بِالتَّدَبُّرِ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ فِي آيَاتٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

**قَالَ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ**(١): «أَلَا تَرَوْنَ -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنَّ مَوْلَاكُمُ الكَرِيمَ، كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلَامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ ﷻ، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ

(١) «**أخلاق أهل القرآن**»: ص٣٦-٣٧، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

الكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ، كَانَ القُرْآنُ لَهُ شِفَاءً؛ فَاسْتَغْنَىٰ بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنِسَ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَىٰ أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَىٰ أَعْقِلُ مِنَ اللهِ الخِطَابَ؟ مَتَىٰ أَزْدَجِرُ؟ مَتَىٰ أَعْتَبِرُ؟ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ».

**وَالمَقْصُودُ بِالتَّدَبُّرِ**: لَيْسَ مُجَرَّدَ العَمَلِيَّةِ العَقْلِيَّةِ، أَوْ مُجَرَّدَ التِّلَاوَةِ، بِدُونِ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ فِي القَلْبِ بِزِيَادَةِ الإِيمَانِ، وَمَا يُلَازِمُهُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ فِي الجَوَارِحِ.

عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»(١).

وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الآيَاتُ فِي القُرْآنِ مُشِيرَةً إِلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**»: ٦/ ٢٤٢، رقم (٧٩٢)، والقاسم بن سلام في «**فضائل القرآن**»: ص١٣١، وسعيد بن منصور في التفسير من «**السنن**»: ٢/ ٦٠٥، رقم (٢١١)، والمروزي في «**تعظيم قدر الصلاة**»: ١/ ٣٩٦-٣٩٧، والطبري في «**تفسيره**»: ١/ ٥٢٠ و١٢/ ١٧، وعبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «**تفسير مجاهد**»: ص٢١٢-٢١٣، بإسناد صحيح.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

لَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللهُ- ذَمُّ مَنْ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَلَا يَتَفَهَّمُهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِيهِ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الأَنْبَارِيِّ، بِسَنَدِهِ(١): عَنْ زِيَادِ بْنِ مِخْرَاقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّا صَعُبَ عَلَيْنَا حِفْظُ أَلْفَاظِ القُرْآنِ، وَسَهُلَ عَلَيْنَا العَمَلُ بِهِ، وَإِنَّ مَنْ بَعْدَنَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ القُرْآنِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمُ العَمَلُ بِهِ».

وَبِسَنَدِهِ(٢): عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ الفَضْلُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، لَا يَحْفَظُ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا السُّورَةَ أَوْ نَحْوَهَا، وَرُزِقُوا

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**» للقرطبي: ١/ ٤٠، بإسناد حسن.
(٢) المرجع السابق، بإسناد فيه لين.

العَمَلَ بِالقُرْآنِ، وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، مِنْهُمُ الصَّبِيُّ وَالأَعْمَىٰ، وَلَا يُرْزَقُونَ العَمَلَ بِهِ».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَقَدْ عِشْنَا دَهْرًا طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَىٰ الإِيمَانَ قَبْلَ القُرْآنِ، فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمُ القُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الكِتَابِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ؛ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ!»(١).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢): عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ الفِقْهِ فِي الدِّينِ.

---

(١) أخرجه الطحاوي في «**شرح مشكل الآثار**»: ٤/ ٨٤-٨٥، رقم (١٤٥٣)، وابن منده في «**الإيمان**»: ١/ ٣٦٩-٣٧٠، رقم (٢٠٧)، والحاكم في «**المستدرك**»: ١/ ٣٥، رقم (١٠١)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: ٣/ ١٢٠، رقم (٥٢٩٠)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٣١/ ١٦٠، ترجمة (٣٤٢١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَىٰ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ،...» فذكره.
قال ابن منده: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً»، وله شواهد من حديث: جندب وحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بنحوه.

(٢) «**صحيح البخاري**»: كِتَابُ العِلْمِ، بَاب مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم (٧١) ومواضع، و«**صحيح مسلم**»: كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، رقم (١٠٣٧)، وفي: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي**،...»، من حديث: مُعَاوِيَةَ =

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَلَنْ تَتَحَقَّقَ هَذِهِ الطُّمَأْنِينَةُ، وَلَا هَذَا التَّثَبُّتُ وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ وَهَذَا الشِّفَاءُ، إِلَّا بِالِاسْتِمَاعِ وَالإِنْصَاتِ وَالتَّدَبُّرِ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الوَسَائِلِ فِي بَيَانِ الفُرْقَانِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وَالنَّبِيُّ ﷺ نَادَىٰ رَبَّهُ وَاشْتَكَىٰ إِلَيْهِ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي المُشْرِكِينَ المُكَذِّبِينَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ العَظِيمِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

---

= رضي الله عنه، وهو طرف الحديث، وتمامه: «...، **وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**».

**وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-**[١]: «أَنَّ مِنْ هَجْرِ القُرْآنِ هَجْرَ تَدَبُّرِهِ، وَهَجْرَ الِاسْتِشْفَاءِ بِهِ».

وَالمُؤْمِنُ المُحِبُّ لِكِتَابِ رَبِّهِ إِذَا أَرَادَ التَّنَعُّمَ بِالتَّدَبُّرِ، فَلْيَحْذَرْ مِنَ العَجَلَةِ فِي التِّلَاوَةِ.

**وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ**: «كَيْفَ يَرِقُّ قَلْبُكَ، وَأَنْتَ هِمَّتُكَ فِي آخِرِ السُّورَةِ؟!».

فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَدَبَّرَ القُرْآنَ عِنْدَ قِرَاءَتِكَ لَهُ، وَأَنْ تَترَسَّلَ، وَأَنْ تَخْشَعَ وَتَخْضَعَ وَتَذِلَّ، وَهَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، لَا سِيَّمَا حِينَمَا يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فِي رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ -كَمَا فِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»[٢]-.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»[٣]: «... **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

❁ ❁ ❁

---

(١) «**الفوائد**»: ص١١٨، (مكة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ).

(٢) «**صحيح البخاري**»: كتاب بَدْءِ الوَحْيِ، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ رقم (٦)، وفي مواضع، والحديث متفق عليه، بلفظ: «...، وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ القُرْآنَ،...».

(٣) «**صحيح مسلم**»: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، رقم (٢٦٩٩).

# الْمَوَاضِعُ الَّتِي حَثَّ فِيهَا الْقُرْآنُ عَلَى التَّعَقُّلِ وَالتَّذَكُّرِ وَالسَّمَاعِ

لَقَدْ دَعَا القُرْآنُ إِلَىٰ التَّدَبُّرِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَحَرَّكَ القُلُوبَ وَالعُقُولَ إِلَىٰ تَأَمُّلِ المَعَانِي، وَالِاتِّعَاظِ وَالِاسْتِبْصَارِ لِمَا جَاءَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ، وَمَا ذَكَرَ مِنْ مَصِيرِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، حِينَ اسْتَجَابُوا أَوْ كَذَّبُوا الرُّسُلَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ المَوَاضِعَ التِي يَذْكُرُ فِيهَا القُرْآنُ القَصَصَ وَالأَمْثَالَ، وَالتِي يَذْكُرُ فِيهَا الحَثَّ عَلَىٰ التَّعَقُّلِ، وَالتَّذَكُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالتَّقْوَىٰ وَالإِيمَانِ، وَالرُّؤْيَةِ وَالإِبْصَارِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، كَثِيرَةٌ جِدًّا.

فَمِنَ المَوَاضِعِ التِي حَثَّ فِيهَا عَلَىٰ التَّعَقُّلِ، وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا مِنَ القُرْآنِ العَظِيمِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ.

كَمَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ.

وَقَدْ وَرَدَ غَيْرُهَا مِنَ الآيَاتِ فِي المَوْضُوعِ نَفْسِهِ بِصِيَغٍ مُخْتَلِفَةٍ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنَ القُرْآنِ المَجِيدِ.

كَمَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فِي مَوْضِعَينِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ مِنَ القُرْآنِ المَجِيدِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ أَيْضًا.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَكَذَلِكَ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنظُرُوا۟ ...﴾ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ.

وَكَذَلِكَ المَوَاضِعُ التِي ذُكِرَ فِيهَا السَّمَاعُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ.

فَهَذِهِ المَوَاضِعُ وَغَيْرُهَا، إِنَّمَا يَدْعُو جَلَّ وَعَلَا فِيهَا إِلَىٰ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا فِيهِ مِنَ المَوَاعِظِ وَالآيَاتِ، القَائِدِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّصْدِيقِ وَالإِيمَانِ، وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

www.menhag-un.com

## تَنَوُّع الْأَسَالِيبِ الَّتِي دَعَا فِيهَا الْقُرْآنُ إِلَى تَدَبُّرِ آيَاتِهِ

لَقَدْ تَنَوَّعَتِ الأَسَالِيبُ التِي دَعَا فِيهَا القُرْآنُ إِلَىٰ التَّدَبُّرِ، وَمِنْ هَذِهِ الأَسَالِيبِ:

الأُسْلُوبُ الأَوَّلُ: وَهُوَ الحَثُّ المُبَاشِرُ عَلَىٰ التَّدَبُّرِ العَامِّ لِلْقُرْآنِ.

وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي عَدَدٍ مِنَ الآيَاتِ الكَرِيمَاتِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فَقَدْ دَعَا القُرْآنُ هُنَا إِلَىٰ التَّدَبُّرِ دَعْوَةً مُبَاشِرَةً صَرِيحَةً، وَأَبَانَ أَنَّ عِلَّةَ إِنْزَالِ القُرْآنِ التَّدَبُّرُ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا عِلَّةٌ عَظِيمَةٌ، قَائِدَةٌ إِلَىٰ كُلِّ فَلَاحٍ وَفَوْزٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

**وَأَمَّا الأُسْلُوبُ الثَّانِي الذِي دَعَا فِيهِ القُرْآنُ إِلَىٰ التَّدَبُّرِ: فَهُوَ تَوْجِيهُ الخِطَابِ لِأَصْحَابِ العُقُولِ وَالنُّهَىٰ.**

وَقَدْ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ مِنَ القُرْآنِ المَجِيدِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ أَيْضًا.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ.

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

وَوَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فِي مَوْضِعَيْنِ.

**وَسِرُّ ذَلِكَ:** هُوَ حَثُّ أَصْحَابِ تِلْكَ العُقُولِ وَالأَلْبَابِ، عَلَىٰ اسْتِعْمَالِهَا فِي تَدَبُّرِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ وَالِاهْتِدَاءِ بِمَا فِيهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ...﴾ [يوسف: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨].

**قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**(١): «وَخَصَّ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- بِأَنَّ ذَلِكَ آيَاتٌ لِأُولِي النُّهَىٰ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَأَهْلُ التَّدَبُّرِ وَالِاتِّعَاظِ».

**وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤](٢): «إِنَّ فِيمَا وُصِفَ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنْ قُدْرَةِ رَبِّكُمْ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: يَعْنِي لَدَلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّكُمْ، وَأَنْ لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ».

**الأُسْلُوبُ الثَّالِثُ: ضَرْبُ الأَمْثَالِ بِقَصْدِ التَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ.**

فَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَىٰ الأَمْثَالَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَحَثَّ عَلَىٰ تَأَمُّلِهَا وَتَذَكُّرِهَا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَفِي مَجَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَضَرَبَ اللهُ الأَمْثَالَ لِلْإِيمَانِ وَالكُفْرِ،

---

(١) «**جامع البيان**»: ١٦/ ١٧٥، (القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

(٢) المرجع السابق.

وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَفَضْحِ النِّفَاقِ، وَالحَثِّ عَلَىٰ الإِنْفَاقِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي الخَيْرِ، وَالتَّنْدِيدِ بِالشَّرِّ، وَتَصْوِيرِ الطَّيِّبِ وَالخَبِيثِ، وَالصَّالِحِ وَالطَّالِحِ، وَلِإِقَامَةِ الأَدِلَّةِ وَالبَرَاهِينِ، وَبَيَانِ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ فِي بَيَانِ الهَدَفِ مِنْ تِلْكَ الأَمْثَالِ: ﴿... وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وَأَظْهَرَ القُرْآنُ مَصِيرَ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِتِلْكَ الأَمْثَالِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥- ٣٩].

**قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**(١): «يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: وَكُلُّ هَذِهِ الأُمَمِ التِي أَهْلَكْنَاهَا

(١) «جامع البيان»: ١٩/ ١٥.

-التِي سَمَّيْنَاهَا، أَوْ لَمْ نُسَمِّهَا-، ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَلَ﴾، يَقُولُ: مَثَّلْنَا لَهَا الأَمْثَالَ، وَنَبَّهْنَاهَا عَلَىٰ حُجَجِنَا عَلَيْهَا، وَأَعْذَرْنَا إِلَيْهَا بِالعِبَرِ وَالمَوَاعِظِ، فَلَمْ نُهْلِكْ مِنْهُمْ أُمَّةً إِلَّا بَعْدَ الإِبْلَاغِ إِلَيْهِمْ فِي المَعْذِرَةِ».

**الأُسْلُوبُ الرَّابِعُ: تَعْلِيلُ الآيَاتِ وَخَتْمُهَا بِمَا يَدْعُو إِلَىٰ التَّدَبُّرِ.**

فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الآيَاتِ قَدْ خُتِمَتْ بِعِلَلٍ تَدْعُو إِلَىٰ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿... وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧- ٢٨].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]. وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ الكَثِيرَةِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ المُؤْمِنَ يَسْعَىٰ لِتَحْقِيقِ تِلْكَ الغَايَاتِ التِي أُنْزِلَتْ مِنْ أَجْلِهَا الآيَاتُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَالتَّأَمُّلِ فِيهِ، وَالعَمَلِ بِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ أَوَامِرَ وَتَوْجِيهَاتٍ.

وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ الغَافِلِينَ وَالكَافِرِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ وَالمُكَذِّبِينَ، مَصْرُوفُونَ عَنْ تَدَبُّرِ آيَاتِهِ وَفَهْمِهَا وَالِانْتِفَاعِ بِهَا، وَمِنْهَا القُرْآنُ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

**قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ**(١): «أَنْزِعُ عَنْهُمْ فَهْمَ القُرْآنِ، وَأَصْرِفُهُمْ عَنْ .....

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدىٰ وتسعون سنة.
=

آيَاتِهِ»[١].

**قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ**[٢]: «وَأَوْلَىٰ الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ -وَآيَاتُهُ هِيَ أَدِلَّتُهُ وَأَعْلَامُهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَا أَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَتِهِ، فِي تَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِهِ؛ وَالسَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ مِنْ خَلْقِهِ فَمِنَ آيَاتِهِ، وَالقُرْآنُ أَيْضًا مِنْ آيَاتِهِ-، وَقَدْ عَمَّ بِالخَبَرِ أَنَّهُ سَيَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ المُتَكَبِّرِينَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَهُمُ الذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَهُمْ عَنْ فَهْمِ جَمِيعِ آيَاتِهِ، وَالِاعْتِبَارِ وَالادِّكَارِ بِهَا مَصْرُوفُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ وُفِّقُوا لِفَهْمِ بَعْضِ ذَلِكَ فَهُدُوا لِلِاعْتِبَارِ بِهِ، لَاتَّعَظُوا وَأَنَابُوا إِلَىٰ الحَقِّ، وَذَلِكَ غَيْرُ كَائِنٍ مِنْهُمْ».

**الأُسْلُوبُ الخَامِسُ: مِمَّا تَنَوَّعَتْ عَلَيْهِ أَسَالِيبُ القُرْآنِ المَجِيدِ، فِي الدَّعْوَةِ وَالحَثِّ عَلَىٰ تَدَبُّرِ آيَاتِ القُرْآنِ العَظِيمِ - ذِكْرُ القَصَصِ القُرْآنِيِّ لِلتَّفَكُّرِ وَالعِبْرَةِ.**

---

=

انظر: «**تهذيب الكمال**»: ١٣/ ١٧٧، ترجمة (٢٤١٣)، و«**تهذيب التهذيب**»: ٤/ ١١٧، ترجمة (٢٠٦)، و«**تقريب التهذيب**»: ص٢٤٥، ترجمة (٢٤٥١).

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: ٩/ ٦٠، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: ٥/ ١٥٦٧، وأبو الشيخ في «**العظمة**»: ١/ ٣١٥، رقم (٥٨)، بإسناد صحيح، وعزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ٣/ ١٢٧ لابن المنذر.

(٢) «**جامع البيان**»: ٩/ ٦٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦ - ١٧٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

فَصَرَّحَ القُرْآنُ بِأَنَّ فِي تِلْكَ القَصَصِ عِبْرَةٌ، وَطَرِيقُ الِاعْتِبَارِ بِتِلْكَ القَصَصِ هُوَ تَدَبُّرُ القُرْآنِ.

**وَقَدْ أَحْسَنَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ الأَعْرَافِ التِي مَرَّتْ، حَيْثُ كَانَ عَمَلُهُ مِثَالًا يُحْتَذَىٰ فِي التَّدَبُّرِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ**(١): «وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ...﴾، يَقُولُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَاقْصُصْ يَا مُحَمَّدُ هَذَا القَصَصَ الذِي اقْتَصَصْتُهُ عَلَيْكَ، مِنْ نَبَأِ الذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، وَأَخْبَارَ الأُمَمِ التِي أَخْبَرْتُكَ أَخْبَارَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَاقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ وَنَبَأَ أَشْبَاهِهِمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عُقُوبَتِنَا، وَنَزَلَ بِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَنَا مِنْ نِقْمَتِنَا عَلَىٰ قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ قِبَلَكَ مِنْ يَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَبِرُوا وَيُنِيبُوا إِلَىٰ طَاعَتِنَا؛ لِئَلَّا يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ الذِي حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ النِّقَمِ وَالمَثُلَاتِ، وَيَتَدَبَّرُهُ اليَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَيَعْلَمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِكَ وَصِحَّةَ نُبُوَّتِكَ؛ إِذْ كَانَ نَبَأُ الذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ،

(١) «جامع البيان»: ٩/ ١٣٠.

وَمَكْنُونِ أَخْبَارِهِمْ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَحْبَارُهُمْ، وَمَنْ قَرَأَ الكُتُبَ وَدَرَسَهَا مِنْهُمْ؛ وَفِي عِلْمِكَ بِذَلِكَ وَأَنْتَ أُمِّيٌّ لَا تَكْتُبُ، وَلَا تَقْرَأُ، وَلَا تَدْرُسُ الكُتُبَ، وَلَمْ تُجَالِسْ أَهْلَ العِلْمِ - الحُجَّةُ البَيِّنَةُ لَكَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ للهِ رَسُولٌ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ مَا عَلِمتَ مِنْ ذَلِكَ -وَحَالُكَ الحَالُ التِي أَنْتَ بِهَا- إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ».

فَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَثَرُ القَصَصِ القُرْآنِيِّ فِي الهِدَايَةِ وَالإِيمَانِ وَاليَقِينِ، عِنْدَ التَّدَبُّرِ الصَّحِيحِ، وَالتَّأَمُّلِ بِقَصْدِ الِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِبْصَارِ.

فَهَذَا الأَصْلُ الكَبِيرُ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَىٰ مُرَاعَاةً تَامَّةً، وَأَنْ يُتَأَمَّلَ فِي الطُّرُقِ التِي يُحَصَّلُ بِهَا -أَعْنِي بِهَذَا الأَصْلِ: تَدَبُّرَ القُرْآنِ العَظِيمِ-؛ لِأَنَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صَرَّحَ -كَمَا مَرَّ- فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ القُرْآنَ لِيُتَدَبَّرَ، وَلِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَادَ مِنْهُ الفَائِدَةَ المَرْجُوَّةَ إِلَّا بِتَدَبُّرِهِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَّعَظَ بِهِ، وَلَا أَنْ يُنْزَجَرَ بِهِ، إِلَّا إِذَا عُلِمَتْ مَعَانِي آيَاتِهِ التِي فِيهَا المَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ، وَفِيهَا الزَّجْرُ عَنْ مُوَاقَعَةِ السَّيِّئَاتِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ضَمَّهُ القُرْآنُ العَظِيمُ مِنَ الكُنُوزِ وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، التِي يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا بِالنَّظَرِ المُتَدَبِّرِ المُتَأَمِّلِ المُتَأَنِّي؛ حَتَّىٰ يَسْتَطِيعَ المَرْءُ أَنْ يُفِيدَ مِنْ كِتَابِ رَبِّهِ الفَائِدَةَ المَرْجُوَّةَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com